مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معه في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِّنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَن* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلَكتُم حيناً إذ كنتم عائشين فيها* أمَّا الآن فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعماله* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

أحد الأجداد القديسين

في الأحد الواقع بين الحادي عشر والسابع عشر من شهر كانون الأول من كل سنة تعيّد كنيستنا المقدّسة لمن تسمّيهم أجداد الرب يسوع تهيئةً لميلاده بالجسد. تقسمهم كتبنا الطقسيّة إلى مجموعتين: مَنْ هم قبل الشريعة، أي شريعة موسى، ومَن هم بعد الشريعة. إنّهم أولئك الذين يذكرهم الكتاب المقدّس، الذين خدموا الله بأمانة أو صنعوا قوات وعجائب بقدرة الله أو كانوا صورة رمزية عن المسيح أو سبقوا فرسموا سرّ الثالوث وتجسّد المسيح أو أولئك الذين أتى المسيح منهم بالجسد. وتُعدّد كتبنا الطقسيّة الكثير منهم ابتداءً من آدم وهابيل وشيت وأخنوخ مروراً بنوح وإبراهيم وملكيصادق وإسحق ويعقوب ويوسف، أولئك الذين قبل الشريعة، ثم موسى وهارون ويشوع مع جدعون وشمشون، وبعدهم صموئيل وداود وسليمان والأنبياء كافة ودانيال والفتية الثلاثة، والنسوة اللواتي صنعن قوات بقدرة الله مثل حنّة ويهوديت وأستير وسارة ومريم أخت موسى وراحيل، وصولاً إلى مريم العذراء الكليّة القداسة التي منها تجسد الرب يسوع المسيح.

من بين المواضيع التي تشير إليها الكنيسة المقدّسة في هذه الذكرى موضوعين أساسيين هما الحياة مع الله، من خلال ما تذكره الكتب المقدّسة عن أولئك الذين سبقونا في الحياة مع الله، وتجسّد الرب يسوع وارتباطه الجسدي معنا من خلال تجسّده من العذراء مريم.

العدد ٢٠١٠/٥٠
الأحد ١٢ كانون الأول
أحد الأجداد القديسين
تذكار أبينا الجليل في القديسين
إسبيريدون العجائبي أسقف مدينة تريميثوس في جزيرة قبرص
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

لقد وعت الكنيسة المقدّسة أهميّة الكتاب المقدّس في حياة المؤمن مع الله والهدف الذي تبغيه من ورائه: «كلُّ الكتابِ هو موحًى به من اللهِ ونافِعٌ للتعليمِ والتوبيخِ، للتقويمِ والتأديبِ الذي في البرّ، لكي يكون إنسانُ اللهِ كاملاً متأهباً لكلِّ عمل صالح» (٢ تيم ٣: ١٦–١٧). لذلك نجد الكنيسة من خلال الكتب الطقسيّة تستخدم الكتاب المقدّس لتحثّ المؤمنين على السلوك في وصايا الله كما سلك أولئك الذين يذكرهم الكتاب المقدّس، فينالون

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦-٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسلَ عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستعفون. فقال له الأولُ قدِ اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبَها فأسألكَ أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا استطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبده اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتها وأدخِلِ المساكينَ والجذعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسيجةِ واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّه لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئك الرجال المدعوين. لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون.

بركات الله كما نالها أولئك قبلهم. إنّهم بكل بساطة المثال الذي علينا أن نتّخذه حتى نتقرّب من الله ونسمع كلامه الذي نقلوه لنا، ومن خلال مدحهم أو طلب شفاعتهم نسعى إلى التمثّل بهم، مسبّحين الرب الذي مجّدهم: «لنقدّم مديحاً للآباء الذين بزغوا قبل الشريعة وفي الشريعة، وبرأي مستقيم تعبّدوا للرب السيّد الشارق من البتول، متمتّعين الآن بنوره الذي لا يغرب»، «أيها المؤمنون، إذ نقيم اليوم تذكار الأجداد فلنسبّح بإيمان المسيح المنقذ الذي عظّمهم في جميع الأمم...»، «لنقم الآن جميعُنا تذكار الأجداد الموقّرين، مادحين سيرتهم التي بها قد تعظّموا»، «إنّ أيوب بما أنّه جاهد بمقتضى الشريعة، في التجارب والأحزان المتواترة، دُعي خادماً نصوحاً لله، وديعاً عادم الشرّ مستقيماً كاملاً بغير عيب هاتفاً: مبارك أنت يا إله آبائنا».

من ناحية أخرى شكّل العديد ممّن تسمّيهم الكنيسة المقدّسة «الأجداد» رسماً للثالوث القدوس وصورة للمسيح، من خلال ما جرى معهم واختبروه في حياتهم، وقد تنبأ آخرون منهم بقدوم المسيح بالجسد لأجل خلاصنا. لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الإيمان بتجسّد الرب يسوع، ابن الله الحي، شكّل القاعدة الأساسية للخلاص، فإنّه القاعدة الأولى للإتّحاد بالله، وهو المعيار الأساسي للتعليم الصحيح: «أيُّها الأحبّاءُ، لا تصدّقوا كلَّ روحٍ بل امتحنوا الأرواحَ هل هي من الله، لأنَّ أنبياءَ كَذَبَةً كثيرينَ قد خرجوا إلى العالمِ. بهذا تعرِفونَ روحَ اللهِ: كلُّ روحٍ يعترفُ بيسوعَ المسيحِ أنَّه قد جاءَ في الجسدِ فهو من الله، وكلُّ روحٍ لا يعترفُ بيسوعَ المسيحِ أنَّه قد جاءَ في الجسدِ فليس من اللهِ، وهذا هو روح ضدِّ المسيح الذي سمعتم أنَّه يأتي والآن هو في العالمِ» (١ يو ٤: ١-٤).

لذلك نجد في خدمة أحد الأجداد الكثير من الإشارات إلى إرتباط حياة الأجداد بالمسيح وإلى التحضير لمجيئه الثاني: «إن يوسف قد ارتضى بالطاعة لأبيه فطُرح في الجب وبيعَ، فحصل رسماً سابقاً للمسيح الذي ذُبح ووُضع في قبر...»، «يا إسحق الكليّ الغبطة، لقد صرت علانيةً رسماً لآلام المسيح، مسوقاً بحسن الخضوع الأبوي لتُذبح، لذلك صرت سعيداً وظهرت بالحقيقة صفيًّا خصّيصاً لله، ساكناً مع جماهير الصدّيقين»، «إنّ فتيان الله كانوا يتخطّرون في وسط اللهيب مبتهجين بندى الروح كأنهم في روضة، فسبقوا ورسموا فيه سرّ الثالوث وتجسّد المسيح...»، «أيّها المسيح، إنّ فتيانك القديسين لمّا كانوا في أتون لهيب النار كأنّهم في ندى، سبقوا فصوّروا سريًّا مجيئك من البتول الذي أنارنا بغير احتراق...»، «لنسبّح أيّها المؤمنون جميع أجداد المسيح الظاهر على الأرض من أجلنا، ممجّدين بالنشائد مَن قد أظهرهم عجباً، بما أنّهم سبقوا فرسموا عن مجيئه وكرزوا للعالم عن ولادته من البتول بحالٍ لا تفسّر».

هذا التجسّد تجسّدٌ حقيقيّ، وليس تجسّداً ظاهرياً، وما استعمال الكنيسة لتسمية «الأجداد» إلاّ تأكيدٌ لإيمانها بهذا التجسّد الحقيقي، وتأكيدٌ على علاقة الرب يسوع المتجسّد بنا نحن البشر، فهو

تأمل

«أما الآن فأنتم أيضاً اطرحوا الكلّ الغضب والسخط...».

إلى جانب الأشياء السماوية، فكّر أيضاً بالمنفعة الأرضية التي تجتنيها من قمع الغضب. فكّر وقارن حالتين من غضبك النفسيّ، في الأولى ضبطت نفسك، وفي الثانية انفجرت. قل لي، متى فرحت واستفدت من تصرّفك؟ عندما انتصر عليك الغضب أوعندما انتصرت أنت عليه؟ من دون شك، عندما انتصرت عليه. مّرات كثيرة كلنا لُمنا أنفسنا وتُبنا بمرارة، لأنّ غضبنا ساقنا إلى كلماتٍ عديمة اللياقة وأعمالٍ تستحق اللوم. على العكس، عندما ضبطنا غضبنا، نَجَونا من متاعب كثيرة وشعرنا برضى عميق وكأننا انتصرنا على عدوّ لنا، لأنّ النصر لا يعني تسليح أنفسنا بالغضب، لأنّ هذا هو الانكسار الأسوأ. النصر هو أن نصبر بوداعة عندما يفعلون بنا أو يقولون عنا أمراً سيّئاً. طبعاً، الأغبياء يزعمون العكس، لكن أنت لا تطلب رأي الأغبياء بل العقلاء، أو بالحريّ، حوّل نظرك إلى الله وهو سيكرّمك. وكلّ مَن يكرّمه الله لا يحتاج إلى تكريم الناس.

أيضاً، إن كنت تغضب بسرعة وعندما تُعطى سبباً ارتضى أن يصير من عائلتنا البشريّة، وكلّ هذا بدافع من محبّته لنا ورحمته التي تفوق الإدراك: «لنجتمع اليوم يا محبّي الآباء، جذلين بتذكار الآباء، ونمدح كما يليق إبرهيم وإسحق ويعقوب الذين منهم المسيح الربّ شوهد بالجسد لأجل غزارة تحنّنه». وقد دعانا الربّ نفسه أن نكون من أهله من خلال حفظ وصاياه والسلوك بحسب مشيئة الآب السماوي: «فأجاب وقال للقائل له: مَن هي أمّي ومَن هم إخوتي؟ ثمَّ مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمّي وإخوتي لأنّ مَن يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمّي» (متى ١٢: ٤٨-٥٠).

تجسّد الله في التاريخ البشري

كطَرفة عين تمر السنون، وتتوالى الأيام كالحلم، ويتصارع الإنسان مع الزمن ليحافظ عليه ويجد أنه لا يبقى له منه إلا الذكريات! تتوالى السنوات والفصول التي تعطي الفرصة لحساب الزمن والتأمل فيه، والإنسان في كل محطة يسائل نفسه ويجري جردة حساب.

إضافة إلى المتتاليات في النظام الطبيعي، تشكّل الأعياد في الكنيسة محطات تعطي للزمن معناه وقيمته فيتقدّس، ولا يعود التاريخ مجرَّد أرقام بل يصبح زماناً مقدساً لأنّه يرتبط بالله وبحياة البشر معه ومع قديسيه.

«العيدُ» يعتمد على الماضي لأنه يحيي ذكرى حدثٍ سلف. ولكن العيد حدثٌ في الحاضر له طقوسه وشعائره ليستحضر في اللحظة القائمة الآن، مناخ الذكرى التي يحييها وذلك لكي نحيا الحدث الخلاصي من جديد، الآن. والعيد هو أيضاً تحديد وجهة حياة للمستقبل. فنحن حين نعيّد نعبّر بتفاصيل العيد، من صلوات وافراح وطقوس وعادات، نعبّر عن المستقبل الذي نريده ونرجوه.

في الأعياد نبحث عن الفرح، وحاشى لنا أن نحصره في زهو اللباس أو متعة الأطعمة أو ضجيج الإحتفالات. ولأننا لا نعيّد للناس بل للرب نفهم الحضور الإلهي في الزمن البشري عنصر تقديس للكون ولحياتنا فيه.

الإنسان الذي يحيا في الزمن يعرف أن الموت هو نهاية الزمن. الموت هو الحاجز بين المحدود واللامحدود. هكذا تمرّ الأيام والسنوات بنا وفينا لنفهم محدودية الزمن فنسعى إلى تكسير أبوابه لنبلغ مدى الحياة الأبدية التي لا تنحصر في زمن مريض بل تفجّره بمخاض الموت ولادة جديدة. الله الأزلي الأبدي الذي يقيم خارج الزمن دخل زماننا لكثرة مراحمه حتى يفتح لنا الزمن المحدود على مدى الحضرة الأبدية المقدسة وأدخلنا فيه بالقيامة والغلبة على الموت.

كل واحد منا اعتمد في المسيح يسوع هو في تاريخ الخلاص ملك، كاهن ونبي. هو ملك لأنه كاتب تاريخه على ضوء تعاليم السيد بنعمة الروح القدس. هو كاهن لأنه مدعو أن يقدس التاريخ والكون بتقديمه قرباناً للرب كذبيحة شكرية على كل نعمه وعطاياه. هو نبي لأنه قادر أن يستعجل الملكوت وأن يكتبه تحولات في يوميات التاريخ البشري فيفتحه على مداه الأبدي.

تشتعل بالرغم منك، على الأقل لا تترك هوى الغضب يتملّك نفسك كثيراً، اطرده بعيداً قدر ما تستطيع وبسرعة. يقول الكتاب المقدس: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف ٤: ٢٦)، لأنّ هذا الهوى فكّك عائلات وأفسد صداقات وخلّف مآس.

هل ظلمك أحد؟ لا تخاصمه، بل خاصم الشيطان الذي يحرّضه على الشرّ، أشفق على الإنسان الذي يخطئ، وفكّر في أنّه إن لم يتُب سيكون في الجحيم إلى الأبد، وهكذا لن تغضب بل إنّ عينيك ستدمعان من الشفقة أيضاً.

كما تشفق على مريض تكويه الحمى، هكذا أيضاً ارحم أخاك الذي يظلمك، لأنّه هو أيضاً مريض. هل تريد أن تدافع عن نفسك المظلومة؟ تواضع واصمت، هكذا ستجرح الشيطان عدوّك، وإلاّ فبالغضب والمبادلة بالظلم ستجرح نفسك ونفس أخيك أيضاً، المجروح بالشرّ أصلاً، والذي يحتاج، ليس إلى ضربة ثانية، بل إلى شفقتك وصلاتك ومساعدتك التي تستطيع أن تقدّمها له طالما بقيت واقفاً، وإن سقطت أنت مضروباً بسهم الغضب الشيطاني، فمَن سيُنهضكما أنتما الإثنين؟ فلا أنت تستطيع أن تساعده ولا هو يستطيع أن يساعدك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ليست المسيحية ديانة نخبوية يتقنها اختصاصيون على غرار المنظرين في الأحزاب العقائدية. هؤلاء ينحتون العقيدة صنماً ويطلبون إلى الجماهير التصفيق لها والسجود أمامها. كل مسيحي مسؤول أن ينشر شعاع النور الإلهي في يوميات تاريخه حتى إذا ما اعتلن النور فهو يضيء في ظلمة التاريخ.

وإذ يخبرنا التاريخ بماضٍ عَبَرَ، فإنّ المستقبل أيضاً يتحوّل تاريخاً. وعلى ضوء خبرة الماضي يطرح علينا التاريخ أسئلة حول المستقبل نكتبها قرارات مصيرية تبدّل مجرى حياتنا. ليس المسيحي وحده في يومنا الحالي هو صاحب الأجوبة الصحيحة والخيارات الصائبة لكي يفرضها على الناس. تلك هي الأصولية التي تشاء التسلط على التاريخ والمستقبل. أما المسيحي فليس حاملاً للأجوبة. هو الذي يطرح الأسئلة على مسلّمات عالمنا المُعَولَم ليكتشف الناس من خلالها ببساطة القلب زيف أصحاب القوة والسلطان. المسيحي يطرح الأسئلة عن الطريق المؤدية إلى خلاص التاريخ البشري من عبودية الشرير، ليكتشف الناس بحرية أن يسوع هو الطريق والحياة والحق. هو الخلاص. هو الحرية ومنه الكرامة والمجد للإنسان في إطار التاريخ.

كل يوم من تاريخ حياتنا يطرح أمامنا العديد من الأسئلة ولسنا مجبرين على الإجابة عن كل الأسئلة أو حلّ كل المسائل أو التغلّب على كل الصعوبات، كما يفعل المنجمون.

المسيحي لا يحمل أجوبة. هو حامل حب الكلمة الإلهية المتجسدة فيه وحامل لخبرته مع الكلمة الإلهي، ولذلك ليس المسيحي غريباً عن التاريخ البشري وإن كانت المملكة التي يتوق إليها ليست من هذا العالم. المسيحي لا يفسّر التاريخ على ضوء عقيدة بل يراه مساراً يقود إلى الله. هذا لا يمنعه من فهم المكوّنات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتكنولوجية في الأطر التاريخية، ليجعلها أداة مساعدة على تحقيق الألوهة في الإنسان العائش في هذا الكون. المسيحي يميّز بين الأداة والغاية، بين اللغة والتعبير. لا يستهلك الأداة لتصبح بدورها صنماً يستعبده، ولا يستعبد الكون ليرتاح فيه بل ليحافظ عليه وليتقدس التاريخ بواسطته.

للتاريخ معنى ونحن لا نستطيع أن نفهم معناه ما لم نتفحصه على ضوء الوعد الإلهي بالخلاص. المسيحي يفتح التاريخ البشري على المحبة الإلهية ليدخل نور الله إلى عتمات تاريخنا.

المطلوب أن نطرح عند أقدام الرب أيام زمان حياتنا وأن نرتمي في أحضانه كما يرتمي الطفل في أحضان أمه. إذ ذاك بعقل مستنير نعرف الأجوبة وبقلب نقيّ نفهم أسرار التاريخ والوجود.

معرفة الله سيّداً على التاريخ، هي الجواب المقترح والمطروح أمام الناس، يقبلونه أو يُحجمون. فلنتذوق حلاوة حضوره الإلهي في حياتنا ونستقر فيه ليملك على حياتنا ويقدّس تاريخنا حتى منتهى الدهر.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb